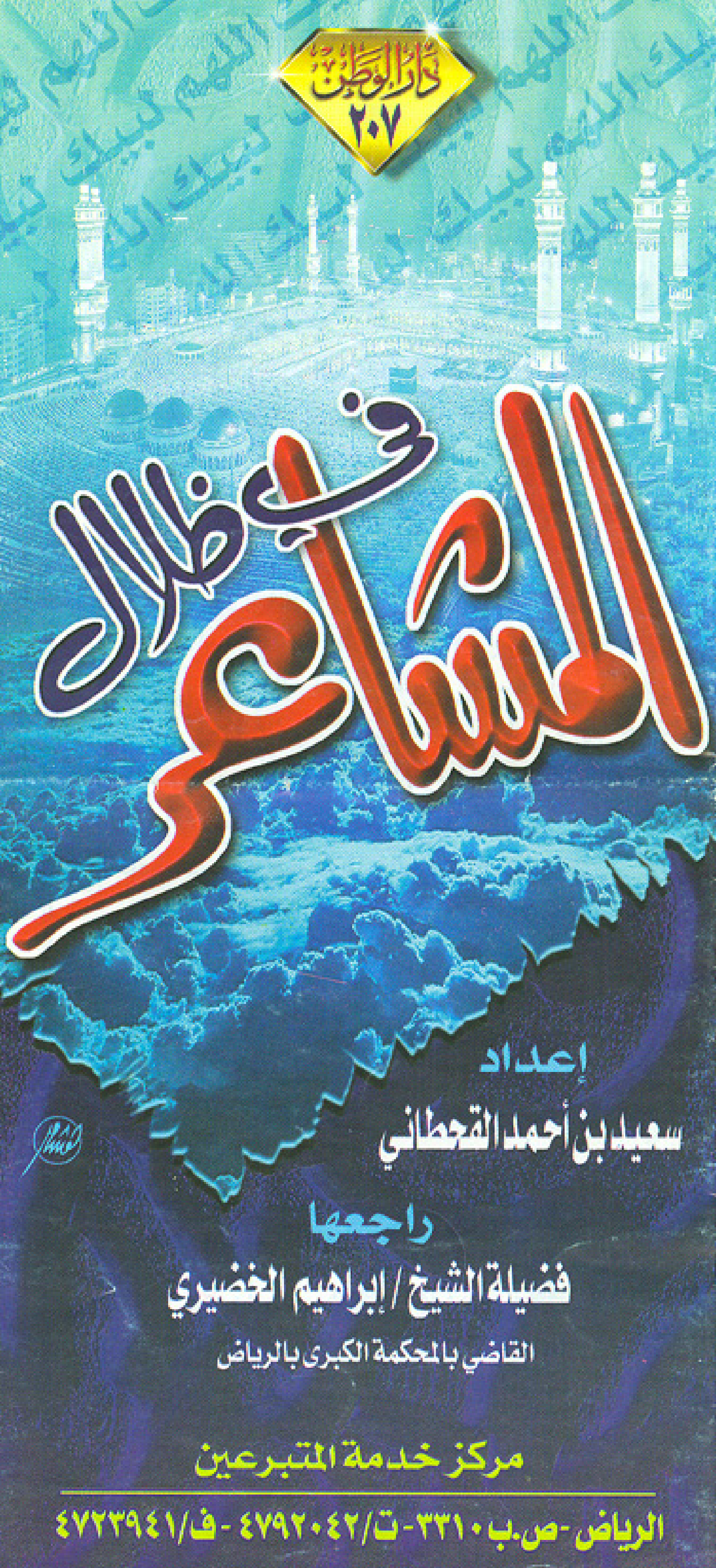

دار الوطن
٢٠٧
في ظلال المشاعر
إعداد
سعيد بن أحمد القحطاني
راجعها
فضيلة الشيخ / إبراهيم الخضيري
القاضي بالمحكمة الكبرى بالرياض
مركز خدمة المتبرعين
الرياض - ص.ب ٣٣١٠ - ت/٤٧٩٢٠٤٢ - ف/٤٧٢٣٩٤١

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمدﷺ، وبعد:

* **فاعلمُ أخي المسلم** أن الحج أحد أركان الإسلام الخمسة كما دلَّ على ذلك حديث النبيﷺ: «بُنِيَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً». وهو ركن واجب على المسلم يأتي به مرة في العمر، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا . . . ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ولا يكتمل دين المسلم إلا باكتمال الأركان الخمسة، وقد فرض الحج على الصحيح من أقوال أهل العلم في السنة التاسعة من الهجرة، وحجَّ النبي ﷺ في السنة العاشرة وهي حجة الوداع ولم يحج غيرها منذ أن بُعِث، حيث اختاره الله تعالى إلى جواره، فقد لحق بالرفيق الأعلى في السنة الحادية عشرة من هجرته عليه الصلاة والسلام.

* **المبادرة بالحج**: يجب على المسلم أن يبادر بالحج حال تحقق الشروط فيه، وهذه الشروط هي: الإسلام ـ العقل ـ البلوغ ـ الحرية ـ الاستطاعة ـ وتزيد المرأة شرطاً سادساً وهو وجود المحرم معها.

* **وتأخير الحج بدون عذر شرعي يترتب عليه مفاسد منها:**

١ ـ **أنه مخالفة لأمر الله تعالى وأمر رسولهﷺ**، فأمر الله كما في قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗا . . . ﴾ وأمر رسولهﷺ كما في قولهﷺ: «يا أيها الناس، إن الله كتب عليكم الحج فحجُّوا» [رواه مسلم]. والأمر يقتضي المبادرة على الفور.

٢ - **أن العبد لا يدري ما يعرض له**، فقد يكون الآن قادراً على الحج وفي المستقبل عاجزاً، فينبغي عليه المبادرة حال القدرة.

٣ - **أن الله تعالى أمر بالاستباق إلى الخيرات**، فقال سبحانه: ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ...﴾ [البقرة: ١٤٨]، والتأخير خلاف ما أمر الله به، والذي لم يبادر لم يستبق الخيرات.

٤ - **أنه روي عن عمر بن الخطاب** رضي الله عنه أنه قال: «لقد هممت أن أبعث في الأمصار فأنظر من له جدة على الحج ولم يحج فأضرب عليهم الجزية، ما هم بمسلمين! ما هم بمسلمين!».

* **فيا أخي المسلم** عليك بالمبادرة قبل المغادرة فحينئذٍ لا تدري هل سيحج عنك أم لا، فتكون مرتهناً بنقص دينك، فيا له من ندم في ساعة لا ينفع فيها ندم.

الحـج ومعانـي التوحـيد

* **أخي الحاج**: اعلم أن الحج لابد أن يتحقق فيه التوحيد الخالص، أرأيت أن أول ما تستفتح به الحج هو التلبية التي هي شعار الحج، فلا يليق بالحاج أن يقول: لبيك اللهم لبيك، وهو يدعو أحداً من دون الله، أو يطوف بقبر أو ضريح تقرباً إلى صاحبه، أو يرجو أحداً من دون الله، أو يطلب أمراً مما لا يقدر عليه إلا الله من غيره، أو غير ذلك من المحدثات التي تحول بين العبد وبين تحقيق التوحيد أو كماله.

* **فعلى المسلم** إذا تجرَّد من المخيط أن يتجرَّد من أدران الشرك ويتحلل من أوثان الجاهلية، وأن يرتدي ثياب التوحيد ويضفى عليه شعائر الوحدانية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

* **أخي المسلم**: احذر من الغفلة في الحج فإنما هي أيام معدودة وأنفاس محدودة، ولا تكن كحال بعض الغافلين ممن طغت عليهم شهواتهم فأنستهم ذكر الله كذاك القائل:

ووالله ما أدري وإن كنت دارياً ... بسبع رميت الجمر أم بثمان

والآخر الذي تشاغل بمحبوبه عن معبوده فلما دُعي إلى الحج قال:

يقولون جاهد يا جميل بحجة ... وأية حج غيرهن أريد

* **والحج** موطن التعظيم والتهليل والتكبير والتقرب إلى الله بسائر القربات، والتجرد عن الأهواء والشهوات، قال تعالى: ﴿ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥]. وجميع هذه المعاني تتجلى في الحج فهنيئاً للمخبتين.

عرفات وموقف العرصات

* **أخي الحاج**: إن لك أن تتأمل في موقف عرفات أي موقف يشبه هذا الموقف، إذا تعامدت الشمس على الرأس، ورفعت بصرك إلى السماء، ورأيت الخلائق بزي واحد، وموقف واحد، وشعيرة واحدة، وهدف واحد. بالطبع سينقلك هذا المشهد إلى المشهد الأعظم والخَطب الأجسم، إنه الموقف في عرصات القيامة إذ الأجسام عارية، والأقدام حافية، والأبصار شاخصة، والشمس قدر ميل من الخلائق وهم يَسْبَحون في بحار العرق، كلّ على قدر أعماله، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ينتظرون ساعة يؤذن فيها بالقضاء، قد بلغ بالناس من الجهد العظيم ما بلغ، فشابت الولدان ووضعت الحوامل أحمالها، وذهلت المرضعة من رضيعها، وتفرقت الأنساب فلا يُغني أحد عن أحد، فحينئذٍ يفر المرء من

أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه وفصيلته التي تؤيه.

وقال كل قرين كنت أحسبه   لا ألهينك إني عنك مشغول

فتأمل أيها الحاج هذا الموقف العظيم واندب نفسك، وابك على خطيئتك، فأنت في موقف تُسكَب فيه العبرات وتُقال فيه العثرات، وكن من الخائفين في هذا الموقف تكن من الآمنين في الموقف ذاك.

الحج والعهد الجديد

* صح عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ حجَّ فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه» فيا أخي الحاج، يا من أنفقت الأموال وخلفت وراء ظهرك الزوجة والعيال، وشددت إلى مولاك الرحال، وتشرفت بالطواف والسعي والوقوف والرمي والحلق والهدي، يا من أتيت لتحط الذنوب وتستر العيوب، أما آن أن تتوب، وإلى مولاك تؤوب، أما آن لك أن تخلع ثياب المعاصي وتلين قسوة القلب العاصي..! إنها فرصة العمر أن تعيش المولد الجديد، وتبدأ العهد من جديد مع ذي العرش المجيد.

* فالحذر الحذر من أن تهدم ما بنيت، وتشتت ما جمعت، وتبدد ما حصلت، فتنتكس بعد الاهتداء، وترتكس بعد النقاء، وتخلع ثوب الطاعة والصفاء، مرتدياً بعده ثوب المعصية والشقاء، فلله كم من حاج وهو داج، وكم من مهلل وهو مضلل، وكم من ملبٍ وهو مطبل، فكم من حاج عاد من حجّه وعمله هباءً منثوراً، ودعاؤه كان ثبوراً وتجارته بواراً، فأي شيء يرجو مَنِ المعاصي بضاعته؟ والغفلة واللهو ساعته؟ قال بعض العلماء: علامة قبول الحسنة إتباعها بالحسنة، وعلامة ردها إتباعها بالسيئة.

الحاج ومنافع الحج

* قال تعالى ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۝٢٧ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: ٢٧، ٢٨]، قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ أي لينالوا ببيت الله منافع دينية من العبادات الفاضلة والعبادات التي لا تكون إلا فيه، ومنافع دنيوية من التكسب وحصول الأرباح الدنيوية، وكل هذا أمر مشاهد كل يعرفه. وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٨]، قال العلماء: الفضل هنا ربح التجارة، روى البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية فتأثموا أن يتجروا في المواسم فنزل: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾ الآية».

* **وهنا أمر ينبغي ملاحظته** وهو أن الاشتغال بالتجارة إذا أحدث نقصاً في الطاعة لم يكن مباحاً حينئذٍ، بل يكره أو يحرم على حسب ما يحصل من خلل في الطاعة، فلو اشتغل عن المبيت بمنى ليلة عرفات كانت مكروهة؛ لأنها أشغلته عن فعل مستحب وهو المبيت بمنى ليلة عرفة، وإذا هي أشغلته عن المبيت بمزدلفة كانت حراماً، وكذلك إذا أشغلته عن رمي الجمار وعن كل واجب فإنها تكون محرمة حينئذٍ؛ لأنها تسببت في تفويت واجب، وتفويت الواجب حرام شرعاً ويأثم من فوّته، كما ينبغي مراعاة حدود الله في مزاولة التجارة حتى خارج الحج.

* **فيا أخي الحاج**: احرص أن تكون المنافع الدينية هي المقصد الأول من حجك، وما حصل بعد ذلك من منافع دنيوية فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، فكم من حاج ليس



له من حجه إلا التنقل بين المشاعر، قلبه معلق بتجارته، وعقله منصرف إلى أرباحه، يخشى من الخسارة في المال ولم يخش الخسارة في الدين، فمن كانت هذه حاله لم تتحقق له المنافع الدينية، ولربما عاد من حجّه مأزوراً غير مأجور؛ لأنه آثر الدنيا على الآخرة في موطن فاضل وزمن فاضل، وذلك هو الخسران المبين.

الحاج ونفقة الحج

* **الحج عبادة بدنية مالية**. فهو عبادة بدنية؛ لأن الحاج يسخّر نفسه ويؤدي شعائر الحج بجوارحه تعبداً لله تعالى، وهو عبادة مالية؛ لأن الحاج ينفق من ماله في رحلة الحج منذ خروجه من بلده إلى عودته إليها، ولكن يا ترى ما هو أصل هذه النفقة أمن الحلال أم من الحرام؟!

* **وإني أذكرك أخي الحاج** بحديث النبي ﷺ الذي يقول فيه: «رب أشعث أغبر يطيل السفر يمدُّ يديه إلى السماء، ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وغذي بالحرام، فانى يستجاب لذلك؟!».

* **أخي الحاج**: كم من مسلم يحج إلى بيت الله الحرام ويهب نفسه لله، ويسخّر جوارحه لأداء هذا النسك العظيم، لكنه حج بمال حرام، فهذا مسكين لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، فما مثله إلا كمثل من قيل فيه:

رام نفعاً فضر من غير قصد ومن البر ما يكون عقوقاً

والله طيب لا يقبل إلا طيباً، فكيف يحج مسلم بمال ربوي؟ وكيف يتصدق بمال رشوي؟ وكيف يقرب القربان بدرهم مغشوش؟ فمن كانت هذه حاله فليس لله حاجة في حجّه، وهو كمن قام يصلي وهو يعلم الحدث فصلاته مردودة وإثمه أعظم.

الحـاج ولـزوم السـنة

* **ثبت عن النبي ﷺ أنه قال:** «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي...» وقال: «مَنْ أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ».

* **أخي الحاج:** هذه الأحاديث تدل دلالة صريحة على لزوم السنة وعدم مفارقتها، ونبذ البدع وكل ما يخالف الدين، وحتى يكون حجك مبروراً احرص يا رعاك الله أن يكون قولك وفعلك موافقاً لقول المصطفى ﷺ وفعله، كيف لا وهو القائل: «خذوا عني مناسككم»، فكيف يسوغ لحاج يسمع هذا الأمر ثم يأخذ حجه من غيره ﷺ، واعلم وفقك الله أن لزوم السنة شرط لقبول العمل يدل على ذلك ما سلف من الأحاديث:

وإذا العبادة وافقت شرطيها ... قبلت وعاملها كذا مقبول
إخلاص قصد واتباع محجة ... وسواهما فضلالة وجهول

* **وإليك أخي الحاج بعض الأخطاء التي يقع فيها بعض الحجاج تخالف السنة، وبعضها محرم يأثم فاعله:**

١ـ **تعمُّد ارتكاب محظورات الإحرام** مع العلم والذكر بدون حاجة بحجة أن الفدية ترفع الإثم دون توبة من ارتكاب المحظور.

٢ـ **التمسح بمقام إبراهيم** عليه السلام واعتقاد أن ذلك عبادة.

٣ـ **التمسح بأستار الكعبة** واعتقاد أن ذلك من مكفِّرات الذنوب.

٤ـ **القراءة من الكتب التي تخصص لكل شوط دعاءً معيناً** في الطواف والسعي.

٥ـ **اعتقاد بعض النساء أن لثياب الإحرام لون خاص** كالأخضر مثلاً.

٦ـ **صيام يوم عرفة من بعض الحجاج.**




٧ ـ اعتقاد بعض الحجاج أن الوقوف بعرفة لا يصح إلا بصعود جبل الرحمة.

٨ ـ إتمام الصلوات الرباعية من بعض الحجاج أثناء المقام في منى أيام التشريق.

٩ ـ حلق اللحية أو تقصيرها بعد التحلل من الإحرام.

١٠ ـ تعمد البعض ترك واجب من واجبات الحج، ويستعيض عنه بفدي كمن يرمي اليوم الأول من أيام التشريق ثم يودِّع وينصرف.

١١ ـ اعتقاد البعض أن جمع حصيات الرمي لابد أن يكون من مزدلفة.

١٢ ـ اعتقاد بعض الحجاج أن حجه لا يتم إلا بزيارة المسجد النبوي.

لا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج

قال تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]، قال الشيخ ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «أي يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه من الرفث وهو: الجماع ومقدماته الفعلية والقولية، خصوصاً عند النساء بحضرتهن. والفسوق وهو جميع المعاصي ومنها محظورات الإحرام. والجدال وهو المماراة والمنازعة والمخاصمة، لكونها تثير الشرَّ وتوقع العداوة...» انتهى كلامه.

قلت: إن بعض الحجاج ـ هداهم الله ـ لا يحقق معنى هذه الآية، ثم يرجو أن يكون حجه مبروراً، فترى أحدهم لا تسلم عينه من النظر إلى النساء بتعمد ذلك إما بين المشاعر أو من خلال وسائل أخرى كالتلفاز، وآخر لا تسلم أذنه من السماع المحرم حتى إن بعضهم يجلب إلى الحج معه أشرطة الغناء أو يتعمد فتح المذياع على

الإذاعات الشيطانية، وبعضهم لا يسلم لسانه من اللغو سواء بالغيبة أو النميمة أو نحو ذلك، ومنهم من يشعل السيجارة ولباس الإحرام على ظهره ويقول: لبيك لا شريك لك، وهو لم يتجرد من سلطان هواه ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣].

* **ومنهم من يجادل ويماري** في أمور لا يحقق الجدال فيها مصلحة ولا يدفع مفسدة، وربما كانت من الأمور الخارجة عن العبادة؛ فيحدث بسببها الشحناء والبغضاء والخلاف والفرقة مما يتنافى مع آداب الحج، حتى إن بعض طلبة العلم يحدث بينهم من ذلك الجدال في أمور يسع فيها الخلاف، وإنما يريد كل واحد أن ينزل صاحبه إلى رأيه ومذهبه حتى ولو كان رأيه مرجوحاً، فتراهم يقدمون للحج رفقة مؤتلفين فإذا بهم يعودون فرادى مختلفين، فأين هؤلاء من الحج المبرور، وكما قال النبي ﷺ في الصائم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» وفي الحج كذلك، فتأدب أيها النازل في ضيافة مولاك بآداب الضيافة، واحفظ حرمة من آواك وأطعمك وسقاك تسعد بالمقام هناك، ويطيب لك القرى عند مولاك.

وفي الختام:

أسأل الله أن يجعل حجك مبروراً، وسعيك مشكوراً، وذنبك مغفوراً، ولا تنسنا يا أخيَّ من دعائك الصالح. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه.

قاله الفقير إلى عفو ربه

سعيد بن أحمد القحطاني

الرياض ـ شوال ١٤٢١هـ